انتصار الحبِّ(١)

كلُّ ما يُكتب عن حبيبين لا يُفهم من رؤية وجه أحدهما ينظر إلى وجهه الآخر .

وما تعرفه العين من العين لا تعرفه بألفاظٍ ، ولكن بأسرارٍ .

والغليلُ المتسعّرُ في دم العاشق كجنون المجنون ، يختصُّ برأسه وحدَه .

وضمّةُ المحبِّ لحبيبه إحساسٌ لا يُستعار من صدرٍ آخر ، كما لا يستعار المولودُ لبطنٍ لم يحمله .

وكلمةُ القبلة ـ الّتي معناها وضعُ الفم ـ لن ينتقل إليها ما تذوقه الشّفتان !

* * *

ويومُ الحبِّ يومٌ ممدودٌ ، لا ينتهي في الزّمن إلا إذا بدأ يومُ السُّلوِّ في الزمن .

فهل يستطيع الخلقُ أن يصنعوا حدّاً يفصل بين وقتين لينتهيَ أحدُهما ؟

وهبْهم صنعوا السُّلوانَ من مادّة النّصيحة ، والمنفعة ، ومن ألف برهانٍ ، وبرهانٍ ، فكيف لهم بالمستحيل ، وكيف لهم بوضع السُّلوان في القلب العاشق ؟!

وإذا سألتِ النّفسُ من رقّة الحبِّ ؛ فبأيِّ مادّةٍ تصنع فيها صلابة الحجر ؟

* * *

وما هو الحبُّ إلا إظهارُ الجسم الجميل حاملاً للجسم الآخر كلَّ أسراره ، يفهمها وحده فيه وحده ؟

وما هو الحبُّ إلا تعلُّق النّفس بالنّفس الّتي لا يملؤها بالإحساس ؟

---

(١) شغلتنا مقالات (القلب المسكين) عن الكتابة في حادثة (القلب المسكين الأعظم) . قلب الملك إدوارد عندما وقعت الحادثة . (ع) .

قلت : وحادثة تخلّي الملك إدوارد عن عرش الإمبراطورية البريطانيّة في سنة ١٩٣٧ من أجل امرأةٍ ؛ ذائعة مشهورة . (س) .

وما هو الحبُّ إلا إشراق النُّور الذي فيه قوَّة الحياة ، كنور الشَّمس من الشَّمس وحدَها ؟

وهل في ذهب الدُّنيا ، وملك الدُّنيا ما يشتري الأسرار ، والإحساس ، وذلك النُّور الحيّ ؟ . . . .

فما هو الحبُّ إلا أنَّه هو الحبُّ ؟

* * *

ما هو هذا السِّرُّ في الجمال المعشوق ، إلا أنَّ عاشقه يدركه كأنَّه عقلٌ للعقل ؟

وما هو هذا الإدراكُ إلا انحصار الشُّعور في جمالٍ متسلِّطٍ كأنَّه قلبٌ للقلب ؟

وما هو الجمالُ المتسلِّط بإنسانٍ إلا ظهور المحبوب كأنَّه روحٌ للرُّوح ؟

ولكن ما هو السِّرُّ في حبِّ المحبوب دون سواه ؟ . . . هنا تقف المسألة ، وينقطع الجواب .

هنا سرٌّ خفيٌّ كسرِّ الوحدانيَّة ؛ لأنَّها وحدانيَّة (أنا ، وأنت) .

* * *

ناقشوا الحبَّ ، فقالوا : أصبحت الدُّنيا دنيا المادَّة ، والرُّوحانيَّة اليوم كالعظام الهرِمَة لا تكتسي اللَّحمَ العاشق .

وقال الحبُّ : لا ، بل المادَّة لا قيمة لها في الرُّوح ، وهذا القلب لن يتحوَّل إلى يدٍ ، ولا رجْلٍ .

ناقشوا الحبَّ ، فقالوا : إنَّ العصر عصر آلاتٍ ، والعمل الرُّوحيُّ لا وجود له في الآلة ، ولا مع الآلة .

قال الحبُّ : لا ، يصنع الإنسان ما شاء ، ويبقى القلب دائماً كما صنعه الخالق .

وقالوا : الضَّعيفان : الحبُّ ، والدِّين ، والقويَّان : المال ، والجاه ، فبماذا ردَّ الحبُّ ؟ .

* * *

جاء بلؤلؤةٍ روحانيَّةٍ في (مسز سمبسون) ؛ ووضع إليها في ميزان المال والجاه

أعظم تاجٍ في العالم : تاجُ إدوارد الثَّامن « ملك بريطانيا العظمى ، وإيرلندا ، والممتلكات البريطانيَّة فيما وراء البحار ، وملك ـ إمبراطور الهند » .

وتنافست الرُّوحانيَّة ، والمادِّيَّة ، فرجع التَّاج ، وما فيه إلى أضعف المعنيين من القلب .

وأعلن الحبُّ عن نفسه بأحدث اختراعٍ في الإعلان ، فهزَّ العالم كلَّه هزَّةً صحافيَّةً :

الحبُّ . . . الحبُّ . . . الحبُّ .

* * *

(مسز سمبسون) ، تلك الجميلة بنصف جمال ، المطلَّقة مرَّتين . هذا هو اختيار الحبِّ !

ولكنَّها المعشوقة ؛ وكلُّ معشوقةٍ هي عذراء لحبيبها ، ولو تزوَّجت مرَّتين ؛ هذا هو سحر الحبِّ !

ولكنَّها الفاتنةُ كلَّ الفتنة ، والظَّريفةُ كلَّ الظَّرف ، والمرأة كلَّ المرأة ، هذا هو فعل الحبِّ !

ولكنَّها العقلُ للأعصاب المجنونة ، والأنس للقلب المتوحِّش ، والنُّور في ظلمة الكآبة ؛ هذا هو حكم الحبِّ !

ومن أجلها يقول ملك إنجلترا للعلم : « لا أستطيع أن أعيش بدون المرأة الَّتي أحبُّها » فهذا هو إعلانُ الحبِّ .

* * *

إذا أخذوها عنه ؛ أخذوها من دمه ، فذلك معنىً من الذَّبح .

وإذا انتزعوها ؛ انتزعوها من نفسه ، فذلك معنى من القتل .

وهل في غيرها هي روح اللَّهفة الَّتي في قلبه ، فيكون المذهب إلى غيرها ؟ لكأنَّهم يسألونه أن يكون موتاً فيه حياةٌ .

وكأنَّهم يريدون منه أن يُجنَّ جنوناً بعقل . . . هذا هو جبروتُ الحبِّ !

* * *

وللسِّياسة حججٌ ، وعند (مسز سمبسون) حججٌ ، وعند الهوى .

التَّاج ، الملكيَّة ، امرأة مطلَّقة ، امرأةٌ من الشَّعب ؛ فهذا ما تقوله السِّياسة ؛ ولكنَّها امرأة قلبه ، تزوَّجت مرَّتين ؛ ليكون له فيها إمتاع ثلاث زوجاتٍ ؛ وهذا ما يقوله الحبُّ !

واللَّحظة النَّاعسة ، والابتسامة النَّائمة ، والإشارة الحالمة (سيدي)[1] ، هذا ما يقوله الجمال .

وانتصر الحبُّ على السِّياسة ، وأبى الملك أن يكون كالأمِّ الأرملة في مِلك أولادها الكبار .

* * *

العرش يقبل رجلاً خلفاً من رجلٍ ، فيكون الثَّاني كالأوَّل .

والحبُّ لا يقبل امرأةً خلفاً من امرأةٍ ، فلن تكون الثَّانيةُ كالأولى .

وطارت في هذه الرِّسالة : « أنا إدوارد الثَّامن . . . أتخلَّى عن العرش وذرِّيَّتي من بعدي » !

« وأعلن الحبُّ عن نفسه بأحدث اختراعٍ في الإعلان ؛ فهزَّ العالم كلَّه هزَّةً صحافيَّةً » .

الحبُّ . . . الحبُّ . . . الحبُّ .

* * *

(١) لا تخاطب (مسز سمبسون) إدوارد إلا بكلمة (سيدي) ، ولا تتحدَّث عنه ، ولا تسمِّيه إلا قالت : (سيدي) ولم يأمر الحبُّ أمره بأبلغ ، ولا أرقَّ من كلمة العبودية اللَّطيفة هذه حين تنطق بها المرأة في صوت قلبها وغريزتها ، وكان هذا أدب نساء الشَّرق مع أزواجهنَّ ، أمَّا اليوم . . . (ع) .